العصر الحجري المعدني :

وهو آخر عصور ما قبل التاريخ ، والفاصل بين العصر الحجري الحديث وعصر فجر التاريخ ، بدأ هذا العصر نحو ٥٠٠٠ ق.م وانتهى في نحو ٣٠٠٠ ق.م ، وسمي بذلك لأن إنسان هذا العصر استمر في صناعة أدواته من الحجارة فضلاً عن استخدام المعادن ، ويعد النحاس والرصاص أبرز المعادن التي دخلت في صناعاتهم ، وسمي هذا العصر كذلك (عصر قبل السلالات) إشارة إلى الجانب السياسي من الحضارة ، وشهد هذا العصر ازدياد القرى الزراعية ، واتساع إنتاجها الأمر الذي أدى إلى ظهور المدن الصغيرة في كثير من أرجاء الشرق الأدنى لا سيما العراق ومصر وسوريا .

يعد هذا العصر بحق عصر المكتشفات الحضارية الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ ، حيث ابتكرت العجلة ودولاب الخزف واخترعت الكتابة واستخدمت الأختام الاسطوانية وبرز النحت المجسم والبارز ، وبنيت المعابد والسفن الشراعية ٠

وقد قسم العصر الحجري لعدة أقسام حسب تطورها الحضاري :

أ – عصر حسونة : سمي نسبة إلى (تل حسونة) على بعد نحو ٣٦ كم جنوب شرقي الموصل ، ويمثل أول دور من أدوار العصر الحجري المعدني ، وقد تميز هذا العصر بأن الفلاحون كانوا يزرعون القمح والشعير معتمدين على خصوبة الأرض والأمطار الديمية واستعملوا مناجل مصنوعة من حجر الصوان والزجاج البركاني وأطباق ذات نتوءات بارزة لجرش الحبوب وفصل القشور عنها ، ورحى لطحنها فيما بعد ، أما الفائض من الحبوب فقد خزنوه بدفنه تحت الأرض وغطوه بالقار من الخارج للإفادة منه في الموسم الذي يقل فيه إنتاجه ، وشيد سكان هذه القرية منازلهم من الطين ثم من اللبن الذي هو مرحلة أكثر تحضراً ، وقد أستعملوا المحاريث التي تدل على تطور ملحوظ في استخدام الآلات الزراعية ٠

ب – عصر سامراء : سمي نسبة إلى مدينة سامراء ، ويمثل الدور الثاني من أدوار العصر الحجري المعدني ، وعثر على أول أوانيه الفخارية في موقع (تل الصوان) الذي يبعد ١١ كم إلى الجنوب من سامراء ، وعثر فيه على عدة قبور وهياكل عظمية ومنحوتات حجرية صغيرة غاية في الجمال ، كما عثر على بيوت مشيدة من اللبن أحدها كبير يعتقد أنه كان معبد ، وبذلك يعد أقدم معبد في تاريخ بلاد ما بين النهرين يعثر عليه ، ويتميز فخار هذا العصر بكونه ملون بلون واحد هو الأسود الفاتح أو الرصاصي ، ومزخرف بزخارف هندسية ، وفي بعض الأواني أشكال حيوانية مبسطة الرسم كالطيور والأسماك والعقارب ، وفي حالات قليلة نجد أشكال آدمية ،

وتشبه آثارهم التي تركوها ما وجد في (تل حسونة) ، الشيء الجديد هنا زراعتهم للكتان ، وتشييدهم للمعابد ، وعثر في قبورهم على أواني وتماثيل صغيرة مصنوعة من المرمر ، ووجدت مجموعة من الحلي مصنوعة من الحجارة الكريمة والنحاس الخام ٠

ج – عصر حلف : سمي نسبة إلى (تل حلف) على نهر الخابور قرب مدينة العين السورية عند الحدود التركية ، وانتشرت مستوطنات (عصر حلف) في مناطق واسعة من العراق ، ووجدت آثاره في أكثر من ٢٠٠ موقع تركزت في شمال العراق ، يتميز هذا العصر بالمباني المدورة التي كان لبعضها مداخل مستطيلة الشكل ، وبقطر يتراوح بين ٥ – ١٩متر ، وهذه المباني دور سكن أو معابد أو مضايف لا سيما الكبيرة منها ، ويتميز هذا العصر أيضاً بأوانيه الفخارية الجميلة ، إذ كانت بلون واحد في دوره الأول ثم أصبحت ذات ألوان زاهية في دوره الثاني ، نقشت بنقوش هندسية ونباتية وحيوانية ، وقد صنعت يدوياً قبل اكتشاف دولاب الخزف ، وفي هذا العصر استخدمت الأختام المنبسطة ، وهي على شكل أقراص حجرية صغيرة مزخرفة بخطوط مستقيمة أو متقاطعة استخدمت في ختم الجرار على سدادات طينية ، وتطورت الأختام المنبسطة إلى أختام أسطوانية في عصر الوركاء ٠

د – عصر العبيد : سمي نسبة إلى (تل العبيد) إلى الغرب من أور بـ٨ كم ، ووجدت آثار هذا العصر في مواقع عديدة في شمال ووسط وجنوب العراق ، وتعد مستوطنات الجنوب بداية الاستقرار وقيام الزراعة التي تعتمد على الري في السهل الرسوبي ، وتشير عدد دور السكن وكثرة القبور التي جمعت بهيئة مقابر خارج المستوطنات إلى اتساع القرى الزراعية وازدياد عدد سكانها ، أما المعابد فكانت أوسع ومتينة البناء وبطرز معمارية أكثر تطوراً وتعددت مرافقها ، واستمرت إنتاج الأختام المنبسطة إلا أنها اتخذت شكلاً بيضاوياً فضلاً عن الشكل المستدير السابق ، وتقدمت صناعة التعدين فدخلت في صناعة الفؤوس النحاسية والمسامير والمناجل ٠

هـ – عصر الوركاء : سمي نسبة إلى مدينة الوركاء (أورك القديمة) في الناصرية ، تميز فخار هذا العصر باستخدام الدولاب في صناعته ، أوانيه غير ملونة ولها طينة حمراء أو رمادية اللون ، وانتشرت حضارة الوركاء إلى خارج العراق أيضاً ٠

العصر الشبيه بالكتابي :

يشغل هذا العصر المدة من ٣٥٠٠ –٢٨٠٠ ق.م ، وهو يمثل الطبقتين الرابعة والخامسة من آثار (الوركاء) وآثار (جمدة نصر) تل النصر الذي يقع شمال شرق (كيش) ، بدأت المدن تظهر بشكل واضح في هذا العصر ، وظهرت المعابد التي شيدت على مصاطب اصطناعية

(الزقورات) ، وهذا ما ميز حضارة بلاد ما بين النهرين عن غيرها ، وبنيت هذه المعابد من قطع اللبن المربعة ، لا سيما معبد الآلهة (أنانا=عشتار) والإله(آنو) والمعبد الأبيض في موقع الوركاء ، ومعبد الآلهة (أنانا=عشتار) في نفر ٠

أهم مميزات هذا العصر هو اختراع الكتابة لأول مرة في تاريخ الحضارة من قبل السومريين الذين سكنوا القسم الجنوبي من وادي الرافدين ، وقد دعت حاجة المعبد في تنظيم إيراداته إلى اكتشاف الكتابة ، ثم أخذ التدوين يشمل كل مناحي الحياة ، إذ تراوحت النصوص السومرية المسمارية بين الوثائق الإدارية والنصوص الملكية والإنجازات الأدبية كالتراتيل والتعاويذ والابتهالات، والشرائع والأساطير ، وكانت الكتابة صورية في بداياتها ، إذ عثر في الطبقة الرابعة من موقع الوركاء على كتابات على شكل صور سميت بـ(الكتابات الصورية) ، لأن الإنسان كان يرسم صورة الشيء الذي يريد أن يعبر عنه ، ثم أخذ يختصر رموز هذه الأشياء إلى رموز أبسط ، ثم عبر عن صور الأشياء التي يريد أن يكتبها بخطوط أفقية وعمودية ذات رؤوس تشبه المسامير فعرفت باسم الكتابة المسمارية ، واستخدم السومريون ومن جاء من بعدهم في وادي الرافدين ألواح من الطين وأقلاماً مثلثة الرأس من القصب في الكتابة ، والكتابة من أهم المكتشفات الحضارية في تاريخ البشرية لأنها حفظت التراث العالمي ولأنها فتحت المجال الأوسع والأرحب في الإبداع الفكري وفي تدوين تاريخ الإنسانية ، واقتصرت الكتابات في بداياتها على تدوين شؤون المعابد ولم يكتب بها نصوص تاريخية ، ومع انتشار الكتابة بدأ تدوين كل ما يخص الشؤون اليومية المختلفة التي تهم الإنسان ، كتدوين عقود البيع والشراء ، وفي تدوين الوثائق والمكاتبات الرسمية للدولة والمكاتبات الشخصية ، والقوانين والعلوم والآداب ، وتميز هذا العصر أيضاً بظهور الأختام الاسطوانية لأول مرة التي استخدمت إلى آخر عصور تاريخ ما بين النهرين القديم ، وعثر على الأختام الاسطوانية في مناطق مختلفة في الشرق الأدنى القديم لا سيما مصر ، واستعمل في هذا العصر دولاب الفخار السريع في صناعة الفخار الذي لون بعدة ألوان ، وتقدم فن التعدين وانتشر استعمال المعادن ، وتقدم فن النحت أيضاً إذ صنعت قطع فنية من النحت البارز والمجسم في الحجر ، زمن أبرز هذه المنحوتات مسلة صيد الأسود والإناء النذري ورأس المرأة المنحوت من المرمر ، كما زينت الجدران بزخارف مؤلفة من مخاريط طينية ملونة الرؤوس ٠